و للروح ارتواء

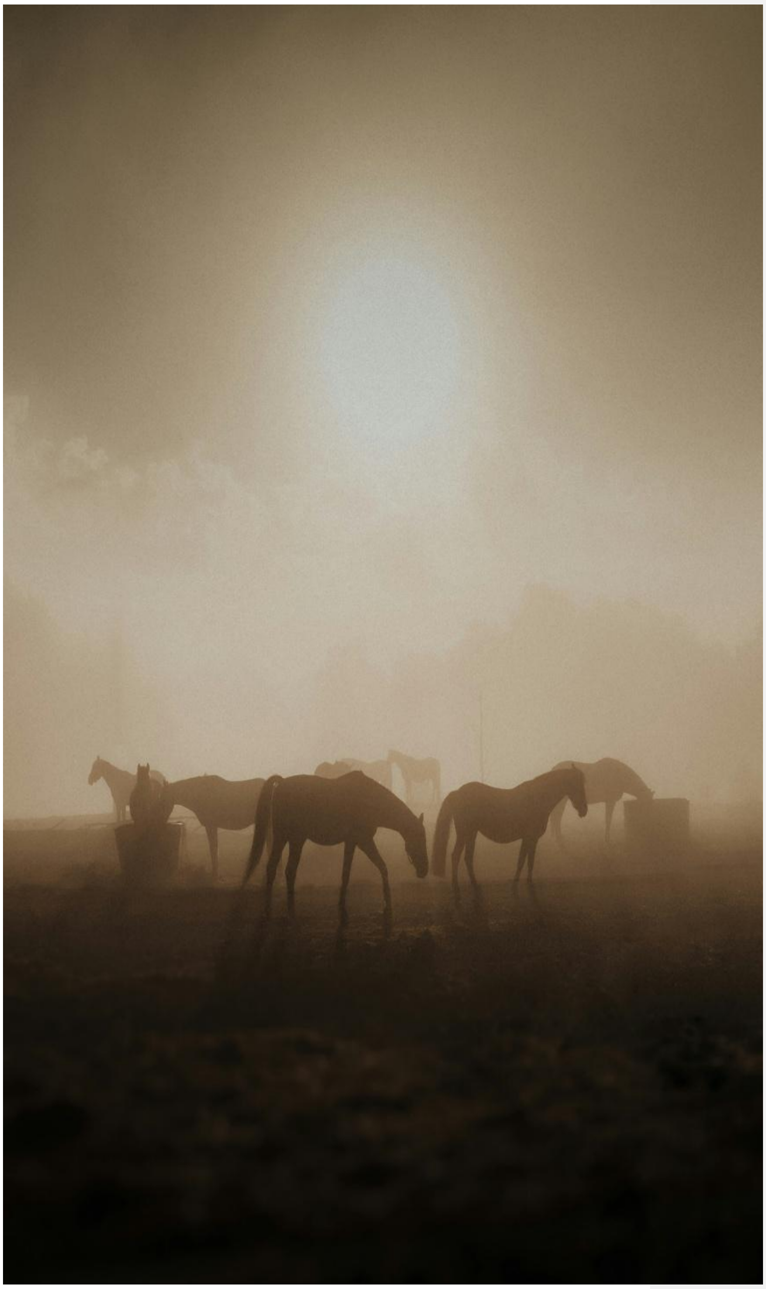

تفريغ محاضرة

خالد سيف الله المسلول

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

٤/١١/١٤٤٢ هـ

سيف الله المسلول

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادِ له وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله،

أما بعد فحديثنا في هذا الدرس عن بطل من أبطال هذه الأمة وفارس من فرسانها، صحابي عاش مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ودرس في مدرسته، فما سنتناوله اليوم من أحداث ومن مواقف صاغت هذا الفارس فهو مجرد نموذج من النماذج التي تربّت في حضن النبي -صلى الله عليه وسلم- وعاشت معه، قال المؤرخون عن هذا الفارس: "لم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام". ففارسنا لم يهزم قط، وليست هذه من عادة الفرسان.. فبالعادة أن المعركة لك تهزم مرة وتنتصر مرة حتى هذا قد حصل مع النبي -صلى الله عليه وسلم- أما هذا الفارس فلم يهزم في معركة قط لا في جاهلية ولا في إسلام.

يقول هو عن نفسه: "لقد انقطعت في يدي في إحدى المعارك تسعة أسياف" فقد تكسّرت في يده من قوة ضربه تسعة أسياف ولم يبقَ في يده إلا صحيفة يمانية، صحيفة أي سيف من السيوف اليمانية وكانت عريضة النصل.

فحين نقول تكسرت في يده تسع أسياف فنحن لا نتكلم عن عصا من خشب، بل أسياف من حديد لها ثقل معين تمتد لأكثر من متر كانوا يحاربون بها.

هذا القائد في الإسلام غزا ما يقرب من إحدى وأربعين معركة، ومن هذه المعارك ذات السلاسل واليرموك وأجنادين وفتح الأنبار وفتح دمشق كلها كانت معارك في سيرة هذا البطل..

حديثنا اليوم عن سيرة خالد بن الوليد -رضي الله عنه-.

وخالد بن الوليد -رضي الله عنه- هو الفارس المعروف وكثيرًا ما يُعرف بـ"سيف الله المسلول" ونعرف أنه فارس وسيف الله لكن دعونا نتعمق في سيرة هذا البطل ولنرى كيف نشأ هذا الفتى منذُ صغره.

نشأته:

خالد بن الوليد نعرفه بهذا الاسم لكن المفاجأة التي قد تكون لدى البعض أنه هو بذاته بشحمه ولحمه ابن الوليد بن المغيرة؛ الوليد بن المغيرة الذي عادى النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان من أكثر المعاندين له قولًا وفعلًا، ففي المعارك كان في الصفوف الأولى ضد النبي -صلى الله عليه وسلم- وأيضًا كما كان يحاربه بكل ما أوتي من قوة فقد كان يحاربه بكل ما لديه من مالٍ وجاه.

ينتهي نسب خالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلى مرة بن كعب بن لؤي وهو الجد السابع للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، إذًا هو لا ينتمي لأي قبيلة وإنما من أشراف القبائل في قريش.

خالته هي أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها- إذًا هو له يد في بيوت النبي -صلى الله عليه وسلم- فخالته أم من أمهات المؤمنين.

وقد كان رجلًا ضخمًا عريض المنكبين، أشبه الناس بعمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فقد كان يبلغ من الطول كذا وكذا ذراع أي تقريبًا ١٨٠ سم أي ما يقارب المترين، وهي أوصاف تليق بفارس، أمه لبابة بنت الحارث وهي أخت ميمونة بنت الحارث -رضي الله عنها-.

إذن خالد ينتمي إلى قبيلة بني مخزوم والتي انتهت إليها القُبّة والأعنّة، القُبّة أي كانت تضرب لها القباب والخيام، والأعنّة أي التي تضرب لها السيوف.

فلكم أن تتخيلوا المجتمع الذي نشأ فيه خالد وإلى الناس الذين حاوطوه حتى نعرف ما هو السبب خلف تأخر إسلامه؟ ولِما لم يكن من الأوائل؟ وما هي الظروف التي أحاطت به؟

فقد كانت قبيلته ذات شرف ومكانة وجاه وسؤدد دائمًا هذه الكلمات تأتي بجانب قبيلته، وكان على قدر كبير من الثراء والجاه.

وكان من هذه القبيلة من سبقوا للإسلام منهم أبو سلمة وأم سلمة -رضي الله عنهما- فكانوا من قبيلة بني مخزوم وأيضًا من قبيلته الأرقم بن أبي الأرقم الذي كان يختبئ النبي -صلى الله عليه وسلم- في بيته، هذا بالنسبة لصعيده الشخصي.

لو أوسعنا الدائرة قليلًا لنرى أعمامه فعمّه أمية بن المغيرة وكان معروفًا بالحكمة وتنتهي إليه السيادة في قريش فكانوا لا يخوضون حربًا إلا ويستشيرونه وكان ذا جودٍ وكرم، وهو الذي حكّم النبي -صلى الله عليه وسلم- في حادثة تنازع القبائل من اللي يضع الحجر الأسود في مكانه، فلما تنازعوا كان أمية هو صاحب الحكمة فقال "فلنحكّم فيها أول داخل" فكان النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا محمد الأمين قد رضينا.

أيضًا من أعمامه هشام بن المغيرة وهو قائد بني مخزوم في حرب الفجار التي كانت مقدمة لنبوة النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما الوليد بن المغيرة فهو أبوه وهو الذي نزلت على أغلب أقوال المفسرين فيه هذه الآيات ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا* وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا* وَبَنِينَ شُهُودًا* وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا* ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَا*كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا* سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾[سورة المدثر: ١١-١٧] وحيدًا: لأنه كان يكنّي نفسه بالوحيد فهو الوحيد المتفرد في زمانه فكان يقول عن نفسه أنا الوحيد ابن الوحيد فتوعّده الله -عز وجل- في هذه السورة،

ففي هذا الجو المترف عاش خالد بن الوليد، قبيلة ذات سؤدد، بين أعمام كل عمّ فيهم له اسم وله شهرة خاصة. أحدهم كان هو القائد في حرب الفجار والآخر تنتهي إليه الحكمة وربط الرايات وأبوه الوليد فهذه الأسرة التي تربى فيها أسرة ثرية ومعروفة، فقد كان الشاب المترف المدلل، ضعوا هذه الصورة بجانب وبالجانب الآخر لكم أن تتخيلوا كيف أصبحت صورته بعد إسلامه كيف تحوّل هذا الشخص المترف الذي نشأ بهذا السؤدد كيف انتصر ليس فقط على معارك عسكرية وإنما كانت هناك انتصارات على مستواه الشخصي.

ففي هذا الجو المترف نشأ خالد وتربّى على الفروسية وكانت هذه عادات العرب يربّون أبنائهم على الفروسية وعلى الشهامة وعلى الخيل وعلى السيف، إلا أن خالد لم يكن مثل أي فارس، تميّز عن أقرانه بأنه لم يكن يحاذى ولا يقارن أصلاً بشجاعته وبسالته كان خالد خفيف الحركة وكان كثير الكر والفر وهذي من ميزات الفارس وليس أي فارس.

تخيلوا معي هذا الفارس فحين نقول أنه كان خفيف الحركة كثير الكر والفر فنحن لا نتحدث عن شخص مدجج بسلاح من سلاح الزمن المعاصر، بل عن سيوف ودروع من الحديد وعلى خيول وهذي الخفة في الحركة بهذا النوع من آليات السلاح.

موقفه من دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- :

ظهرت نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان خالد طبعًا من أوائل المعاندين لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونشأ خالد في هذا البيت المعادي له وكانت كثيرًا من الآثار تأتي بأن بني مخزوم أصلًا كانوا في نوع من المنافسة مع بني هاشم وبني عبدالمطلب فهؤلاء أصلًا كان لهم المكانة وكانوا أقل ثراءً من بني مخزوم لكن كانت لهم أيضًا السيادة وكانت لهم الرفادة وكانت لهم سقيا الحجيج، فكانت هناك نوع من المنافسة لكنهم أيضًا لم يكونوا أناسا عاديين فإنهم يقبلون أن يكون منهم نبي كان هذا الأمر فيه نوع من الإجحاف في حق سؤددهم،

فما كان من أسرته إلا أنها عادت النبي -صلى الله عليه وسلم- من البدايات، وخالد طبعًا كان من ضمن هؤلاء، ولما سأل النبي -صلى الله عليه وسلم- خالد عن سبب تأخر إسلامه؟ فيقول: "يا رسول الله كان أمامنا رجال أحلامهم مثل الجبال" أحلامهم يعني عقولهم مثل الجبال، ما كان يتخيل خالد في لحظة إن والده الوليد بن المغيرة وأعمامه هشام بن المغيرة وأمية بن المغيرة كان يفوتهم أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان معه الحق وأن معه النور، ولذلك كانوا يظنون وظنّ خالد معهم في لحظة ما -وتخيلوا معي الموقف وهو جالس مع أعمامه وأبناء عمومته وهم على مائدة عامرة في خيامهم المضروبة لهم وهم يتناقشون عن أمر محمد بن عبدالله الذي لم يتبعه إلا الفقراء والعبيد،

تخيلوا خالد وهو في هذا الجو المترف وهم يتكلمون أن محمدًا بن عبدالله حدث له شيء في عقله وصار يتنبأ لعل الخرافة وصلت له لعله تأثر بأهل الكتاب فلم يكن معه بجانبه إلا بلال الحبشي الذي يخدمنا أصلًا وإلا صهيب الرومي

وهو أيضًا من خدمنا أو حتى ابن مسعود وهو أيضًا من الخدم، فتخيلوا معي أن الأوائل الذين أسلموا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- كانوا من العبيد ومن الضعفاء ومن الفقراء. أبو ذر وأبو هريرة كانوا من فقراء المسلمين.

ولم يكن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا قلة، أبو بكر وعمر بن الخطاب وحمزة -رضي الله عنهم-، كانوا هؤلاء ايضًا قلة وكل واحد منهم يسلم فكانوا يقولون كان ثالث الإسلام كان رابع الإسلام، كنت سادس الإسلام فكانوا يعدّون أنفسهم.. فخالد كان في تلك البيئة المترفة التي ظن أن أمر محمد إلى زوال وأن القضية هي معركة أو معركتين فقط ويستأصلونهم عن بكرة أبيهم، فمن يكونون هؤلاء الذين يحاربون اللات والعزّى والأصنام؟ من هؤلاء الذي يقوى أن يسفّه كل أجدادنا وعاداتنا؟ فكانت القبائل والعادات القبلية موجودة منغمسة فيهم إلى درجة أنهم ظنوا أنها هي التي ستبقى وأن محمد والعبيد والفقراء معهم إلى زوال.

ظن خالد بمفهومه البسيط الدنيوي الذي عاش عليه في قريش ولم يكن يدور في خلده أن الباطل ينتفش ويملأ الآفاق حتى لا يبقى هناك نفس، وأما الحق فيبدأ يستأصل هذا الباطل من جذوره فكأنك لا ترى الحق. أين الحق؟ هو غير موجود! لكنه يسري في جذوره حتى يستأصل هذا الباطل فجأة من غير أي مقدمات ينهد هذا الباطل على أهله.

ظن خالد بمجرد مقاييس بسيطة أن ليس للنبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه قائمة وأنهم ليس معهم إلا فقر وأنهم مجرد شرذمة قليلون، مثل ما قال فرعون عن قوم موسى -عليه السلام-، ومثل ما قال بنو عاد أو ثمود عن أنبيائهم إن هم إلا شرذمة قليلون وإنهم لنا لغائظون، فتحيّن الفرصة ليستأصلهم فنحن نتكلم عن فارس والفروسية تقتضي أنك تدافع عن اسم قبيلتك وعن آبائك وأجدادك وهذا الذي كان يعيش له العربي في ذلك الوقت، فكان طبعًا من بداية أولئك الناس الذين كانوا في صف المشركين سواء كان في بدر أو أحد أو في غزوة الخندق وحتى صلح الحديبية كان خالد يقاتل في صفوف المشركين.

عبقريته في غزوة أحد:

ففي غزوة أحد كان سبب هزيمة المسلمين خالد وكانت المعركة أشبه بانتصار ساحق للنبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة معه وهرب المشركين الذين أرادوا الانتقام لقتلاهم الذين قتلوا في بدر فهربوا هم ونسائهم حتى رأوا المسلمين خلاخل النساء وهم يهربون،

فهربت قريش بكل بكرة أبيها ولم يبقَ منهم أحد وخلت أرض المعركة، تخيلوا المعركة شبه انتهت. من صاحب العبقرية الفذة ومن صاحب النظرة العسكرية التي لم تكن تشبه أي فارس؟

فإذا قلنا أنه لم يكن يحاذى ولا يقارن أي فارس حتى نعرف أين التقاطات خالد، فبقي خالد مع مجموعة من الكتيبة لا تزيد عن المئة متواجدون يراقبون المشهد فكان المفترض أن يقتحم مع جيش المشركين لكن المشركين انهزموا بسرعة كبيرة، فلما رأى الجيش ينكشف رأى الرماة الذين أكّد عليهم النبي -صلى الله

عليه وسلم- كما في الحديث عن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ، فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ» [أخرجه البخاري، صحيح] قد نزلوا ظنوا أن المعركة انتهت باجتهاد منهم، فأغار خالد بن الوليد والتفت تلك الالتفاتة الشُجاعة لأنه يقاتل بمئة.

فلو فكرنا بعقلية خالد فهي أشبه بعملية فدائية لأن جيش الكفار فر وراح ومع ذلك لأنه فارس حقيقي ومن شجاعته عرف أنهم الآن في حالة اختلاط وأن المسلمين لو غار عليهم هم لن يعرفوا من هؤلاء الذين غاروا عليهم هم من المسلمين أو الكفار؟ فأغار بمئة وبالفعل الجيش المنهزم لقريش لما رأوا خالد اقتحم المعركة مره أخرى عادوا إليه واقتحموا المعركة معه وكانت دائرة النصر لهم.

خالد قاتل في هذه المعركة وكانت من آثار هذه الهزيمة مقتل سبعين من الصحابة -رضوان الله عليهم- ومن أعظمهم حمزة ومصعب بن عمير -رضي الله عنهما- وهم من أكابر الصحابة الذين قتلوا وما كان أمر هيّن حينما نقول أن في بدر قتل تقريبًا ما يقارب من ثلاثة عشر مثلًا، لكن في غزوة أحد قتل سبعين فالعدد كبير بالنسبة للصحابة وكان السبب في ذلك بعد الله -عز وجل- خالد الذي ألحق الهزيمة بجيش المسلمين، وضعوا هذا الموقف على جنب حتى نعرف من هو خالد الذي ظلت له هذه المكانة.

دوره في غزوة الخندق:

بقي خالد يقاتل في صفوف المشركين فلما كانت غزوة الخندق كان أيضًا من أوائل الفرسان الكفار في ذلك الوقت وكان أيضًا من الذين حنقوا على المسلمين بفكرة الخندق لأنها فكرة لم يكن يعرفها العرب في ذلك الوقت، فلم يرضَ أن يبقى في مكانه لا يفعل شيء،

جلسوا ما يقارب من الأسبوع أو الأسبوعين وهم لا يفعلون شيء فلم يرضَ بذلك فكان مع مجموعة من الفرسان يحاولون اقتحام الخندق بخيولهم وكانوا ينظرون لذلك المسلمين على الصعيد الآخر كانت تفوتهم صلاة العصر وصلاة المغرب ويجمعون بين الصلوات لأنهم كانوا يلحقون هؤلاء الفرسان ويحاولون أن يمنعونهم من اقتحام أي شيء من الخندق، ولو نجح خالد في الاقتحام كانت نهاية المسلمين ستكون في ذلك الوقت لأنهم مجتمعين في مدينة صغيرة وكان جيش الكفار في ذلك الوقت ما يقارب من العشرة آلاف ومن بقي في المدينة لا يزيدون عن ثلاثة آلاف فلو استطاع الاقتحام لكانت نهاية الإسلام عندئذ،

لكن لم يشأ الله -عز وجل- ذلك ورجع جيش المشركين خائبًا وكان خالد من أواخرهم، فكيف كان خالد يلمع وهو فارس في صفوف الكفار -وسنتطرق لحاله وهو فارس في صفوف المسلمين وما الذي حصل له؟- لم يكن فارسًا عاديًا ولذلك حين انسحبوا كان هو من أواخر الفرسان الذين يحمون ظهورهم وليؤمّنوا الانسحاب حتى لا يأتي أحد من المسلمين فيقتحم ورائهم.

موقفه في صلح الحديبية:

وفي الحديبية أيضا لما جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعتمر وكان صلح الحديبية قبلها خالد كان خارج بأكثر من مئتي فارس ليلاقي المسلمين في الحديبية وليدخل معهم في معركة إلا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- توقف حينما توقفت بغلته وكان الصلح المعروف،

كانت من نتائج هذا الصلح في صلح الحديبية المعروف أن توضع الحرب بين قريش وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، وكانت في هذه الشروط شيء من الإجحاف في حق المسلمين، من جاء من المشركين هاربًا إلى المسلمين يرجعه المسلمين إلى الكفار، ومن جاء من المسلمين إلى الكفار فلا يرجعونه وقيسوا على مثل هذا كانت الشروط، كان من ضمن الشروط أيضًا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يأتي ولا يدخل مكة معتمرًا لأنه ما جاء محارب جاء ليعتمر فقالوا لا تدخلها حتى لا يتحدث العرب أنك دخلت مكة عنوةً لكن من العام القابل تأتي وندخلك فتأخرت عمرة النبي -صلى الله عليه وسلم- عامًا كاملًا إلى أن دخل،

في خلال هذه العام حين عُقد الصلح وكانت من بركاته أنه تحدث إلى الناس إلى الناس فأمِن الناس فصار كفار قريش الموجودون إذا لقوا المسلمين حادثوهم، فصارت العلاقة من حربية إلى علاقة يسودها شيء من التفاهم، فرجع الناس إلى بيوتهم وإلى تجارتهم، ومن بين الناس الذين أسلموا الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد وأمه أيضًا كانت ضمن من أسلم خلال هذه الفترة أو قبلها.

قصة إسلامه:

فلما كانت السنة التي جاء فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- ليعتمر ولكم أن تتخيلوا الموقف جاء النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا أول دخول له بعد سنوات -ونحن حين نمنع عن مكة سنة أو عدة أشهر نشعر أن قلوبنا تتفطر فكيف بالنبي -صلى الله عليه وسلم- ومكة هي أرضه ومولده وهي مراتع صباه فتخيلوا عودته؟ كيف يعود وبأي شوق؟-

فرجع إليها معتمرًا طائفًا بالبيت هو والصحابة -رضوان الله عليهم- فلم يسأل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن أبو لهب لم يسأل عن أبي جهل لم يسأل عن أعمامه أو أبناء عمه من غير الذين قتلوا لم يسأل عن أقربائه لم يسأل عن البقية من بني هاشم،

سأل عن شخص واحد فقط الذي خلدته كتب السيرة، وهو يمشي ويطوف التفت إلى الوليد وسأله أين خالد؟ لم تذكر كتب السيرة أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- سأل عن أي أحد سوى خالد! فالتفت وقال له أين خالد؟

وخالد كان قد اختبئ وهرب من مكة لأنه لا يريد أن يشهد أن رسول الله يدخل مكة عنوةً، فلاحظوا كمية الغيظ، ومن بغضه لفكرة أن قريش قد انهزمت وأن المسلمين سيأتون ويطوفون في مكة لم يستطع أن يتحمل هذا الموقف فهرب من مكة إلى أعالي الجبال لا يريد أن يشهدها.

فهو فارس ويشعر أن هذا فيه نوع من الدنوّ له ولقبيلته، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- سأل عنه بالذات، يسأل عنه فقال له أخوه ، يقول خالد : "دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيّةِ، فَتَغَيّبْت فَلَمْ أشهد دخوله، وَكَانَ أَخِي الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ دَخَلَ مَعَ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ فِي عُمْرَةِ الْقَضِيّةِ، فَطَلَبَنِي فَلَمْ يَجِدْنِي فَكَتَبَ إلَيّ كِتَابًا فَإِذَا فِيهِ: بِسْمِ اللهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ، أَمّا بَعْدُ: فَإِنّي لَمْ أَرَ أَعْجَبَ مِنْ ذَهَابِ رَأْيِك عَنْ الْإِسْلَامِ، وَعَقْلُك عَقْلُك! وَمِثْلُ الْإِسْلَامِ جَهِلَهُ أَحَدٌ؟ وَقَدْ سَأَلَنِي رَسُولُ اللهِ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ عَنْك فَقَالَ: أَيْنَ خَالِدٌ؟ فَقُلْت: يَأْتِي اللّهُ بِهِ. فَقَالَ: مَا مِثْلُهُ جَهِلَ الْإِسْلَامَ!

وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَجِدّهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ. فَاسْتَدْرِكْ يَا أَخِي مَا فَاتَك، فَقَدْ فَاتَتْك مَوَاطِنُ صَالِحَةٌ" [مغازي الواقدي]

"قال يأتي به الله" يعني خالد يا رسول الله -خالد أشد الناس عداوة هو هارب لا يريد رؤيتك - فاستحى أخوه وقال "يأتي به الله" فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- للوليد: "ما مثله جهل بالإسلام" أي ليس خالد الذي لا يعرف الإسلام "ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيرًا له ولقدّمناه على غيره" فأين خالد؟ فلو كان يجعل نكايته وعبقريته وفروسيته وشهامته في المسلمين على المشركين لكان خيرًا له ولقدمناه على غيره، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الكلام لخالد وهو الذي كان سببًا في قتل حمزة ومصعب وسبعين من الصحابة وهو الذي لم يهزم الجيش الإسلامي إلا كان بتلك المعركة وبفكرة منه،

فخرج الوليد يبحث عن أخيه يريد أن يبلغه الرسالة فلم يجده، فترك له أخوه رسالة قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام وعقلك عقلك، ومثل الإسلام جهله أحد؟ وقد سألنى رسول الله ﷺ عنك وقال: أين خالد؟

فقلت: يأتي الله به.

فقال: "مثله جهل الإسلام ولو كان جعل نكايته وجده مع المسلمين على المشركين كان خيرا له، ولقدمناه على غيره" فاستدرك يا أخى ما قد فاتك فقد فاتتك مواطن صالحة.

هذا يدل على أن خالدًا ما كان ذكيًا في الحرب وحسب بل كان له عقل وهذا العقل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- ينتظر منه "وعقلك عقلك ومثل الإسلام يجهله أحد؟"

ولسان حاله يقول: غرك بنو عمومتك غركم الترف الذي كنت فيه غرك أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المسلمين لا زالوا قلة مستضعفة، تظن أن رسول الله لن تقوم له قائمة؟ فيقول له ومثل الإسلام يجهله أحد؟

فلما قرأ خالد الرسالة تأثر كثيرًا، وتخيل لو كنت أنت مكان خالد وتعرف أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لم يسأل عن أعمامك لم يسأل عن هشام ولا عن أمية ولا عن الوليد سأل عنك أنت شخصيًا لم يسأل عن أي أحد من أبناء عمومتك، وكانوا كلهم قادة العاص بن الوليد والعاص بن أمية.. أبناء عمومته كلهم فرسان يعني لولا أن نطيل وإلا أخذنا قصصهم واحد تلو الآخر ومع ذلك فإنه سأل عنه فقط،

فتأثر خالد كثيرًا فتحرك الإسلام في قلبه، ثم لم يرَ خالد بد من أن يسلم جاشت في نفسه تلك المشاعر فخرج يريد الإسلام، فقال وهو يحكي عن نفسه :"فلما أردت الخروج من مكة إلى المدينة وددت لو أني أجد صاحبًا فلقيت عثمان بن طلحة" وطلحة هو الذي كان يحمل رايات المشركين بنو طلحة الذين تكسرت راياتهم في بدر وأحد في أيديهم، وواحد من أبنائهم بل من فرسانهم عثمان فيقول خالد: "فلقيته في الطريق، فذكرت له الذي أريد فأسرع الإجابة، وأدلج سرًا فلما كان بالسهل إذا بعمرو بن العاص -عمرو بن العاص هو داهية العرب المعروف- فقال: مرحبًا بالقوم أين مسيركم؟ فأخبرناه وقلنا له قد استقام المنسم وإنه رسول الله حقًا -هذه كلمة خالد بن الوليد إنه استقام المنسم أي قد اتضح وبان الطريق- وإنه لرسول الله حقًا" وليس عندي شك في أنه رسول الله، وهذا الكلام كان بعد صلح الحديبية.

فلما رآهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ثلاثة من فرسان قريش، وقيل إن خالدًا كان عمره حينها ثلاثًا وأربعين.. فرأى خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص -رضي الله عنهم- فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "هَذِهِ مَكَّةُ، قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا"[مغازي الواقدي]

فقد كانوا من خيرة فرسان مكة وحين قدموا فهم خيرة أفلاذ مكة، يقول خالد بن الوليد: "فَأَدْلَجْنَا سَحَرًا فَلَمْ يَطْلُعِ الْفَجْرُ حَتَّى الْتَقَيْنَا بِيَأْجِجَ فَغَدَوْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الْهَدْأَةِ فَنَجِدُ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بِهَا فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ فَقُلْنَا وَبِكَ قَالَ: أَيْنَ مَسِيرُكُمْ قُلْنَا مَا أَخْرَجَكَ فَقَالَ: مَا أَخْرَجَكُمْ قُلْنَا الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ وَاتِّبَاعُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْدَمَنِي، قَالَ: فَاصْطَحَبْنَا جَمِيعًا حَتَّى دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَأَنَخْنَا بِظَهْرِ الْحَرَّةِ رِكَابَنَا فَأُخْبِرَ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عليه وسلم فَسُرَّ بِنَا، فَلَبِسْتُ مِنْ صَالِحِ ثِيَابِي، ثُمَّ عَمَدْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَقِيَنِي أَخِي فَقَالَ أَسْرِعْ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُخْبِرَ بِكَ فَسُرَّ بِقُدُومِكَ وَهُوَ يَنْتَظِرُكُمْ، فَأَسْرَعْنَا الْمَشْيَ فَاطَّلَعْتُ عَلَيْهِ فَمَا زَالَ يَتَبَسَّمُ إِلَيَّ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالنُّبُوَّةِ فَرَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ، قَدْ كُنْتُ أَرَى لَكَ عَقْلًا رَجَوْتُ أَنْ لَا يُسْلِمَكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ رَأَيْتَ مَا كُنْتُ أَشْهَدُ مِنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ عَلَيْكَ مُعَانِدًا عَنِ الْحَقِّ فَادْعُ اللَّهَ يَغْفِرْهَا لِي. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا كَانَ قَبْلَهُ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ كُلَّ مَا أَوْضَعَ فِيهِ مِنْ صَدٍّ عن سبيلك"[مغازي الواقدي]

قول خالد "لما اطّلعت على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- سلّمت عليه بالنبوة فرد علي السلام بوجه طلق" فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وحينها قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلًا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير"

أي أنت بالذات كنت أرى لك عقل ما مثله يجهل بالإسلام فالحمد لله الذي هداك والحمد لله أنك ما مت في صفوف المشركين، فإنك تعيش إلى أن تبلغ هذه اللحظة وتضع يدك بيد الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتصبح من المهاجرين هذه من رحمة الله بك، فقال:"الحمد لله الذي هداك قد كنت أرى لك عقلًا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير"، "فبايعت رسول الله" يقول خالد وقلت: "يا رسول الله استغفر لي كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله" فما كان إسلامه إسلام المكره بل بدأ مع إسلامه في حب هذا الدين وفي الاستبسال له، فقال له

الآن أنا سأسلم لكن يا رسول الله استغفر الله لي في كل ما أوضعت فيه من الصد عن سبيله، وما كان إسلامه إسلام كذّابين فهو الآن يستسمح من الله في كل موقف في كل معركة وقفها وهو يصد عن سبيل الله، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم- "يا خالد الإسلام يجبّ ما قبله" أي بمجرد توبتك وإسلامك فهذا يجبّ ما قبله، فقلت يا رسول الله: "وذاك" يعني ما أحكم إلى المبايعة حتى تستغفر لي شخصيًا، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم اغفر لخالد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك". فتقدم عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة فأسلما وبايعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكانت هذه قصة إسلامه.

بطولاته في الإسلام:

١ / غزوة مؤتة:

ومر شهران فقط عن إسلام خالد وكان ضمن كتيبة ذاهبة إلى غزوة مؤتة، خالد هذه المرة دخل في هذه الكتيبة جندي من الجنود في عامة هذه الجنود وكانت هذه المعركة هي معركة من المعارك ضد الروم الفساسنة وليسوا الروم الأصليين بل غساسنة العرب،

وكانوا قد قتلوا اثنين من الرّسل فأراد النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يثأر لهما لأن الرسل لا تقتل، فخرج هذا الجيش وكان قوامهم ثلاثة آلاف مسلم وكان المفترض أنهم يقاتلون قبيلة فقط لا أكثر، لكن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يعرف ويوحى إليه مالا يعرفه الآخرون، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: أَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ» قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنْتُ فِيهِمْ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، فَالْتَمَسْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَوَجَدْنَاهُ فِي القَتْلَى، وَوَجَدْنَا مَا فِي جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ، مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ " [أخرجه البخاري، صحيح]

وليس من عادة الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يؤمّر ثلاثة على جيش، ولم تكن بالعادة أنه يعقد القيادة لثلاثة إلا لأمر جلل ومع ذلك عرف المسلمين أنهم قادمين لمعركة لن تكون أحداثها طبيعية فلما وصل المسلمون إلى أرض المعركة وجدوا أن الروم تستقبلهم بمائتي ألف مقاتل.

ولنفترض أننا نريد أن نجد النسبة بينهم فنضرب الثلاثة آلاف أو نضاعفها بأي نسبة لن نصل لا إلى ضعفين ولا إلى ثلاثة أضعاف ولا حتى عشرة أضعاف، فنحن نتحدث عن ثلاثة آلاف مقابل مائتي ألف، لأن المسلمون خرجوا لمقابلة الغساسنة فقط فإذ بهم يستعينون بجند الروم فأمدّوهم بجيش كامل فإذا الجيش مائتي ألف فكل الأحداث والظروف المحيطة تعطي مؤشر ليس للهزيمة فقط بل أنها ستكون مجزرة وسيقتل المسلمون في أرض المعركة، فقام بهم زيد بن الحارثة وقال: "يا معشر المسلمين إن الذي تخافون للذي خرجتم له تطلبون" تخافون من ماذا، أمن الموت؟ فنحن ما خرجنا إلا للشهادة "فإما النصر وإما الشهادة"،

فحمي المسلمين لذلك، فابتدأوا المعركة وقاتلوا فيها باستبسال شديد جدًا، وتخيلوا أن ثلاث آلاف تصمد أمام

مائتي ألف مازاد على ثلاث أيام، فإن كان من المفترض أن تنتهي المعركة في ساعتين فينتهي أمرهم، أي أن المائتي ألف لو بذلوا جهدًا يسيرًا لانتهى جيش المسلمين !

وبعد فترة من القتال يموت زيد بن حارثة -رضي الله عنه- في المعركة كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب -رضي الله عنه- ، وجعفر يأخذ الراية ويستبسل بها كما نعرف ولذلك سُمّي جعفر الطيار لأنه قطعت فيها كلتا يديه، ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- وأيضًا قتل..

فلما سقطت راية المسلمين اهتز الجيش، فلابد من رفع الراية؛ فلو وقعت فذلك يعد انهزاما لجيش المسلمين، فما كان من ثابت بن الأرقم أحد الصحابة رضوان الله عليهم من الشباب الصغار، إلا أخذ الراية فلما أخذها، اجتمع المسلمون عليه فالتفت هو إلى خالد، وخالد كان يكنّى بأبي سليمان، قال: "أبا سليمان خذ الراية"، أي خذها كُن أنت القائد، فأصبحوا في خطر من دون قائد والجيش محفوف بمائتي ألف مقاتل من جيش الروم..

ففي هذه اللحظة خالد القائد الفارس لم يقل أنا لها وإنما قال: "لا لست أنا من يقود خذها أنت، أنت أسبق مني أنت شهدت بدرًا " فخالد يقول لثابت بن الأرقم الذي من الممكن ما أحد يعرفه أصلًا من هو من الصحابة ولا ما هي بطولاته؟ يقول له أنت خير مني أنت شهدت بدرًا أنا ما شهدت أنا للتو أسلمت، فلم ينظر إلى تاريخه العسكري وما نظر إلى خبراته إلى بطولاته نظر فقط إلى أن الأسبقية هي فيمن سبق مع رسول الله وليس فيمن سبق بخبرته أو في جاهه أو في علمه، فما كان من ثابت رضي الله عنه- إلا أن قال: "والله ما أخذت الراية إلا لك"ثم نادى في المسلمين "أترضون بإمرة خالد؟" قالوا قد اجتمعنا عليه فأمروا خالد عليهم.

الآن أن يبقى لك أقل من ثلاث آلاف في بركة من الروم عددهم مائتي ألف هذه تحتاج إلى أعجوبة أو معجزة حتى تخرج أنت من هذا المكان، لكن خالد في دقائق استطاع أن يغير الخريطة وهذي حين نقول إن القضية ما كانت تهوّر وما كانت شجاعة، خالد كان يملك تلك العبقرية وذلك التخطيط مباشرة في حينها غير الميمنة والميسرة وجعل هناك قلب وجعل هذا القلب هو الذي يقتحم،

أخذ مجموعة من المسلمين أرجعهم إلى الوراء وكأنه جاءهم إمداد .. جيش الروم ينظر وفي عجب مما يحدث، فالروم في لحظة ظنوا أن هناك مدد أتى فتراجعوا، في هذه اللحظة خيّم الليل فرجع خالد غيّر الخطة، غيّر الرايات والأماكن فلما أصبح الروم لقوا أن الوجوه جديدة ليست الوجوه نفسها التي التقتها سابقا، فظنوا أن هناك مدد قادم، فبدأ الروم يتراجعون فاقتحم عليهم خالد وكان قد أعدّ خطة للانسحاب يسمى انسحابا تكتيكيا جعل مجموعة تقتحم ومجموعة تذهب ثم مجموعة تقتحم ومجموعة تذهب فأعظم شيء يريده خالد الآن هو فقط إنقاذ المتبقي من هذا الجيش لأن المعركة غير ممكنة فالمسألة مسألة وقت، والكثرة هذه ستغلب مائتي ألف في حدود ثلاث آلاف لا يمكن أن يكون هناك أي نصر.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَعَى زَيْدًا، وَجَعْفَرًا، وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»[أخرجه البخاري، صحيح]

فسمّى هذا الانسحاب اللي أعده خالد فتح من الله، فقال "ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله" فسمّي خالد -رضي الله عنه- من بعدها بسيف الله المسلول، وقالها النبي -صلى الله عليه وسلم- أيضًا في رواية أخرى: "اللّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ انْتَصِرْ بِهِ" [أخرجه ابن حبّان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح] وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- لا يعدل بخالد بن الوليد ولا بعمرو بن العاص في الحرب أحدًا منذ أسلما.

هذا العقل الذي امتدحه النبي -صلى الله عليه وسلم- خالد صنع به الأعاجيب، وما فيه معركة وما فيه ليلة كان ينامها خالد ولا ينيم إلا على تعبئة، وكان يعرف عن عدوه أكثر من الذي يعرفه عن نفسه، فنحن نتكلم الآن على نوع من العبقرية ما هي فقط بسالة ولا هي فقط فروسية وشجاعة. لكنه كان لا ينام ولا ينيم ؛ حتى من كان معه لا ينامون إلا على تعبئة فيكونون على أهبة الاستعداد في أي لحظة وكانت حرب المعلومات هذي يستثمرها لصالحه.

بقي خالد -رضي الله عنه- بعد غزوة مؤتة يقاتل في صف النبي -صلى الله عليه وسلم-، كان معه في فتح مكة وكان أول أمراء النبي -صلى الله عليه وسلم- الذين دخلوا، وأسلمه النبي -صلى الله عليه وسلم- قيادة مجموعة من السرايا والغزوات، بعد فتح مكة ذهب ليكسر العزّى فقال لا عزّى لكم.. إلخ.

وهذه المعارك في كلها كان ينتصر فيها خالد ولم يهزم قط.

٢/ حرب المرتدين:

مات النبي -صلى الله عليه وسلم- وتولى الخلافة بعده أبو بكر -رضي الله عنه-، فما إن توفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ظهر رأس النفاق وسنّت الروم والفرس أسنانها، وضعاف الإيمان الذين أسلموا فقط لمجرد الغلبة هؤلاء الناس الذين تغيّرت جلودهم وهم كُثر هذه الأيام، الناس التي غيّرت جلودها وظنوا أن الإسلام سيموت كالعادة بموت القائد،

ففي كل الأساطير في كل الإمبراطوريات بمجرد أن يموت القائد مثل جنكيز خان، فكان موت القائد هو موت لشعبه بعده لكنه لم يكن هذا الحال مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأنه لم يربِ اتباع من خلفه وإنما ربّى رجالاً كانوا يمشون كالمصاحف فمات النبي -صلى الله عليه وسلم- وقد خلف رجالاً يحملون هذا الدين، فمات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فانقلبت كل جزيرة العرب ولم يبقَ هناك مكان مسلم نقي الإيمان إلا المدينة، فكل القبائل المجاورة ارتدت على أعقابها إلا قلة، فأراد أبو بكر -رضي الله عنه- أن يقاتل هؤلاء منهم من منع الزكاة ومنهم من ارتد عن الإسلام ومنهم من أراد أن يجمع جيوشه ليقاتل المسلمين..

فانظر إلى أغلب هذه الفتن وأكبرها وكانوا المرتدين، فكانت الأعين إلى خالد -رضي الله عنه- فأمر خالد بقتال هؤلاء المرتدين فقتلهم جيشًا وراء جيش، كان أول هؤلاء طلحة بن خويلد وهو من الذين ادّعوا النبوة فكان قاتلهم إلا أن هذا طلحة بن خويلد فرّإلى الشام ثم أسلم وحسّن إسلامه وقاتل الفرس واستشهد في عهد عمر بن الخطاب -

رضي الله عنه- ، ثم اتجه خالد إلى مسيلمة الكذاب في حرب اليمامة وهي حرب معروفة قتل فيها كثير من المسلمين وكانت معركة عنيفة جدا انتصر فيها أيضًا خالد -رضي الله عنه-.

ففي هذا الوقت ظهرت حقائق ضعاف الإيمان والذين أسلموا من أجل جاه أو سُلطة، وظهرت حقيقة خالد -رضي الله عنه- فقد كان الجندي المخلص الأمين لهذا الدين وأنه دخل هذا الإسلام يقينًا بصدقه.

٣/ دوره في الفتوحات الإسلامية:

فما إن هدأت هذه الفتوحات في جزيرة العرب، وكانت مدة خلافة أبو بكر -رضي الله عنه- قصيرة لا تتجاوز السنتين لكن لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- خلّف هؤلاء الرجال وهم يعرفون أن القضية ليس فقط أن تحافظ على هذا الدين بل أن تنشره في كل مكان، فابتدأ أبو بكر -رضي الله عنه- بمهمته الأولى وأراد أن يحمي شبه الجزيرة العربية ديار الإسلام من حدود الفرس لأن الفرس إمبراطورية كبرى وينتظرون الفرصة للغزو ليأخذوا جزءا من الشمال في جزيرة العرب، فلما أراد أن يوسّع الفتوحات إلى خارج الجزيرة إلى أرض بعيدة عن المدينة اختار أن يفتح العراق وهي في منطقة بعيدة جدًا فاختار خالد -رضي الله عنه- لهذه المهمة فكان خالد -رضي الله عنه- أول من ذهب ليغزو في طليعة القادة وتوجه بالفعل إلى العراق فانتصر على الفرس في مجموعة من مُدن العراق.

أ/ فتح الأنبار:

ومن المدن التي فُتحت في العراق مدينة الأنبار فكان لخالد -رضي الله عنه- قصة فيها لأنه أهلها تحصنوا وبنوا خندق فعرف خالد -رضي الله عنه- أنه لا يمكن أن يقتحمه فبالتالي لا يمكن أن يتنصر ويكمل الفتح لو ما سقطت الأنبار فحاول أن يقتحمه فما استطاع فذهب إلى أضيق منطقة بالخندق وأمر بإبل هزيلة وكبيرة السن أن تنحر فأمر أن يصنع بها جسرًا ثم لم يمر عليه حتى أمر الرماة عنده بأن يغطوهم بغطاء جوي من النبال فبدأ الطرفين يرمون النبال على الطرف الآخر وهم يمرون الحسر من تحتهم وهذا لا يأتي فقط من شجاعة أو بسالة بل من تخطيط عسكري وهذا لأن الناس كانت متحصنة ولا يخرج منهم إلا أعينهم فأمر خالد -رضي الله عنه- بأحسن الرماة عنده بأن يستهدفون أعينهم فأصبحوا ما يقارب من ألف عين من الفرس في تلك المعارك فلما رأى قائدهم ما حصل، صالح خالدًا وفتحت الأنبار صلحاً.

ب/ فتوحات الشام:

من المعارك أيضًا معركة ذات السلاسل وهي معركة معروفة، انتصر خالد -رضي الله عنه- فيها على الفرس وانتصر بفتوحات العراق بما يقارب من من خمسة عشر معركة لم يهزم في واحدة منها قط وبينما هو يفتح في العراق كان أبو بكر -رضى الله عنه- في المدينة قد جهز أربعة جيوش لفتح الشام لأن الروم على الصعيد الآخر بدأت تُجهز الجيوش لقتال المسلمين حين رأوهم قد انشغلوا مع الفرس فأراد أبو بكر -رضى الله عنه- أن يسبقهم

فلاحِظوا أن المسلمين ما كانوا يوما مغفلين وما كانوا في انتظار وصول العدو إلى حصونهم بل كانوا يستبقون وكانوا يعرفون ما الذي يحصل ولذلك حرب المعلومات مهمة وليس صحيحاً أن عدوك يعرف عنك كل شيء وأنت لا تعرف هذا مجرد كلام مستهلك لا أكثر ولا أقل.

ج/معركة اليرموك:

فأمر أبو بكر -رضي الله عنه- بأربع جيوش جهزها كاملة وأمر عليها أبو عبيدة الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص -رضي الله عنهم- فذهبت هذه الجيوش وابتدأت بالفعل بفتح دمشق مدينة تلو مدينة سمع بذلك إمبراطور الروم وكانت هذه معاقل دولة بيزنطة فعرفوا الآن أن المسلمين العرب تجرؤوا ودخلوا في حدودهم وأخذت شيئا من مددهم،

فقال إمبراطور الروم كلمته المشهورة : "لأشغلن أبو بكر عن أن يورد بعد ذلك خيله إلى أرضنا " أي أنه يرسل لنا خيوله لأرضنا، فأمر الروم أن تجتمع فلما وصلت جيوش المسلمين إلى وادي اليرموك في الشام وإذا هم بمحاذاة ما يقرب من مئتين وأربعين ألف من الجيش الرومي أي قرابة ربع مليون وكان جيش المسلمين لا يجاوز ستا وثلاثين ألفا وهذه عبارة عن أربع جيوش فلما وقفوا هذا الموقف وكانت الجيوش بالعادة تأخذ وقتها في المفاوضات أرسلوا مباشرة لأبي بكر -رضي الله عنه- بمَ يشير إليه، فقال لهم أبو بكر -رضي الله عنه- كلمته لما وصف قال :"والله لأشغلن النصارى عن وساوس الشياطين بخالد بن الوليد."

وأرسل لخالد بن الوليد -رضي الله عنه- أن اترك نصف جيشك وأمر عليهم المثنى بن الحارثة -رضي الله عنه- وخذ بقية الجيش وأسر بهم سريعاً إلى أرض المعركة هناك أي بأرض الشام في وادي اليرموك وبعادة الجيوش في ذلك الزمن تستغرق أسابيعا حتى تصل فلما وصلت خالد بن الوليد -رضي الله عنه- الرسالة سأل خرِّيت في الأرض، أي الطرق أقرب للشام؟ فقال له: الطريق المعروف الذي تمشي به القوافل هو الطريق الأخصر ويمر في دومة الجندل لكن سيأخذ منك كذا وكذا من الوقت ولكن هناك طريق مختصر تصل من خلاله إلى الشام في أقل من ثلاث وسبعين ساعة أي قرابة الثلاث أيام أو أربعة، وتكون لديهم لكن به مشكلة واحدة وهو أن هذا الطريق صحراء قاحلة مهلكة لا يوجد فيها مورد ماء واحد فلذلك لا يمكن لأي أحد أن يسلكه فقال خالد ابن الوليد -رضي الله عنه- جهزوا الجيش سندخل في تلك الصحراء فلما عرف الجيش وقف الجميع متعجبًا كيف هذا؟! والطريق مميت وقاتل لا يمكن أن نعبره في أربع أيام من غير شربة ماء سنموت ونهلك بالتأكيد!

وهم أناس تمشي ثلاث أيام وتحارب ليس بحوزتهم ما يسد رمقهم ولا أي نوع من الترف هم الذين يأكلون ثلاث تمرات ويمصونها ويرتشفون رشفات الماء حتى تقيم أصلابهم فلما رأى تضعضع الجيش قال خالد -رضي الله عنه-:"لا يأتي ما يضعفن يقينكم واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له"

فخالد -رضي الله عنه- لم يكن القائد المغتر بشجاعته وخبرته العسكرية وعبقريته بل كان يملك اليقين بالله وأن الله لا يمكن أن يخذلنا وله قصص كثيرة في هذا الموضع تثبت بعضها وبعضها لا تثبت وأنه قد جازف

في مغامرات لا لشيء إلا ليقينه بالله وكان هذا جزء من المنهج الذي يعيش عليه أن معونة الله تأتي على قدر النية ومن يصدق الله يصدقه،

هل بقي على هذا اليقين ؟ فهل مشى بمجازفة الدراويش ينتظر السماء أن تمطر؟ كلا

وإنما أمر بالإبل الكبيرة والهزيلة بأن تعطش ثم أوردوها الماء فصارت تشرب تشرب تشرب لأن الإبل عطشى فصارت تشرب ثم أمسكوها وجعلوا هذا الماء موجود في بطونها فصارت معهم تمشي كخزانات مياه موجودة وأمر كل منهم أن يكون معه في جعبته ما يكفيه لخمسة أيام وألا يزيد شربهم في اليوم الواحد عن جرعة واحدة تشرب في اليوم الواحد جرعة واحدة فقط لا أكثر

وبالفعل مشوا في تلك الصحراء القاحلة وكل ما احتاجوا للماء لخيولهم نحروا واحد من الإبل التي معهم لأن الخيول لابد وأن تشرب وكانوا يخلطون الماء بشيء من اللبن فكانت الخيول تشرب وبقي معهم ماء إلى أن وصلوا ما أن طلع فجر اليوم الخامس إلا وطلائع جيش خالد مع أبو عبيدة الجراح -رضي الله عنهما-

في تلك اللحظات أرسل أبو بكر الى أبو عبيدة الجراح -رضي الله عنهما- وكان هو القائد الأعلى للقوات المسلحة كما نقول فقال له: "إذا جاءك خطابي هذا فقد وليت وليد خالد ابن الوليد -رضي الله عنه- القيادة في الشام فلا تخالفه واسمع له وأطع أمره والله ما وليت خالد القيادة الا لأني أظن أن له فطنة في الحرب ليست لك وأنت عندي يا أبا عبيدة خيرًا منه وأراد الله بنا وبك خيراً والسلام"

إن كان عندك سيف الله المسلول وعندك أمين هذه الأمة فأيهما تفضل؟ فقال الآن المعركة تحتاج إلى فطنة حرب قال إني وليت خالد وما نزعت منك القيادة إلا لأننا الآن نحتاج إلى فطنة خالد في الحرب لأن الحرب ليست متكافئة نتكلم عن مائتين وأربعين ألف أي ربع مليون مقابل ست وثلاثين ألفا،

فلما رأى خالد هذا العدد ورأى هذه الأعداد الموجودة سمع أحد من الجند الموجودين لما اصطفت الصفوف وكان يجهز جيشه وإذا بواحد من المسلمين يقول: (ما أكثر الروم وأقل المسلمين) ، فقال خالد ابن الوليد -رضي الله عنه-: "بل قل ما أقل الروم وأكثر المسلمين إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال أبالروم تخوفوني؟"

ومن ثم بدأت المعركة وكانت معركة اليرموك كما يقول المؤرخون يوم من أيام الله وكان لها تكتيك معين فعله خالد وهناك أفلام وثائقية عن هذه المعركة كيف قسمهم إلى قراطيس كأنها مجموعة من الكتائب فيها ألف وجعل على كل كتيبة من هذه الكتائب فرسان واستمرت المعركة وفيها قد انتصر خالد ابن الوليد طبعاً، ست وثلاثون ألفا انتصروا على المائتين وأربعين ألفا بمجموعة من التقنيات التي صنعها خالد

وخلال هذه المعركة حصلت بعض المواقف فتبدأ المعارك دائما بمبارزات يطلع فارس يعني الجيوش تصطف ويطلع من كل جيش فارس ويتبارزون وعادة الذي ينتصر يحمى جيشه فيشعر بالتفاؤل والنصر فخرج واحد من الروم يتقاتل ويتبختر بسيفه من يبارزني فخرج له من المسلمين شاب عمره أقل من ٢٠ قال أنا أبارزه وما كانوا المسلمين يستقلون بأحد فخرج هذا الشاب ليبارزه والتفت إلى أبي عبيدة قائد الجيش وقال له :"يا أبو عبيدة ألك

لرسول الله حاجة ؟" أي لو التقيت برسول الله -صلى الله عليه وسلم- تريد منه حاجة فالشاب خارج وهو يرجو الشهادة فخرج فلما ذهب بارز هذا النصراني فقتله مباشرة فخرج له من جيش الروم فارس ثاني ثم ثالث ثم رابع والشاب هذا يقتلهم واحد تلو الآخر فجاء الخامس فقتله كما تمنى وكان شهيداً -رحمة الله عليه-

ثم جاء هذا الخامس يتبختر بين الجيشين فقال أبو عبيدة:"أليس لهذا من رجل من المسلمين فيبارزه؟" فخرج له عبدالرحمن بن معاذ بن جبل -هذا كبير ابن كبير- فخرج عبد الرحمن ولد معاذ بن جبل فلما رأه معاذ بن جبل -وكانوا اثنينهم الأب والابن في المعركة نفسها-قال: وفقك الله يابني" فالتفت له قال:"يا أبتِ ألك لرسول الله حاجة؟ فقال له :"اقرأ لرسول الله منا السلام وقل له جزاك الله عن أمتك خيراً"

فخرج ليبارزه -ولكم أن تتخيلوا هذه النفسيات التي تخرج للمبارزة وإنه إما نصر وإما شهادة- فقتله الرومي بضربة في رأسه وسقط شهيداً وكان ثاني الشهداء في هذه اللحظات في خلال هذه المعركة صرخ فيهم عكرمة بن أبي جهل -رضي الله عنه- في أرض المعركة وقال:" يا أصحاب رسول الله من يبايع على الموت؟"

أي ندخل نموت عملية فدائية ندخل فيهم فلا نرجو حياة ولا نرجو نصر نرجو شهادة فقط فقال يا أصحاب رسول الله من يبايع على الموت؟ فبايعه أربع مئة فلما يبقى من هولاء الأربع مئة بعد هذه المعركة إلا شهيد أو جريح، وكان من ضمن تكتيكات خالد -رضي الله عنه- يقسم الجيش إلى مجموعات فبدأ بالمشاة وكانوا واجهة الجيش في وضع الدفاع فكأنه يدافع وما كانوا يدخلون بقوتهم كأنوا يدافعون بالمشاة الذي ليس معهم إلا سيوفهم فكانوا هم في البداية

فبدؤا يحاربون والجيش الرومي بمئتين وأربعين ألف يستهلكون كتائبهم واحدة تلو الآخرى، فلما أُنهك الجيش الرومي ابتدأ خالد -رضي الله عنه- بالتكتيك الثاني فدخل الفرسان بخيولهم فالروم كانوا يظنون أنهم على وشك إنهاء الحرب وإذ بكتيبة أخرى لم تقاتل من الفرسان يدخلون عليهم بالمعركة وهكذا ففي إحدى لقطات المعركة طلب أحد قادة الروم -وهو ينظر إلى هذا التكتيك- وقف القتال ومبارزة خالد لوحده فلما برز خالد وكانا بصدد رفع سيفيهما وإذ بالرومي يغمد سيفه ويقرب خيله بجانب خيل خالد -رضي الله عنه- فأغمد خالد سيفه ظن أنهم سيتقاتلون باليدين فلما اقترب الرومي منه قال:"يا خالد اصدقني ولا تكذبني -هذا القائد يريد أن يسأل سؤال واحد ولم يرد أن يحارب ولا أن يبارز- فإن الحر لا يكذب ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع هل أنزل الله على نبيكم سيف من السماء فأعطاك إياه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟"

لأنه قد شاع بين الناس أن خالد ابن الوليد لم يهزم في معركة قط فرد عليه خالد:" لا، لم ينزل سيف من السماء"، فقال الرجل :" فلماذا سُميت سيف الله المسلول؟" فقال خالد -رضي الله عنه- -ولاحظوا التواضع في جوابه :"إن الله عز وجل بعث فينا نبياً فدعانا فنفرنا عنه ثم إن بعضنا صدقه وتبعه وبعضنا باعده وكذبه وكنت أنا فيمن باعده وكذبه وقاتله ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فاتبعناه، جاء في حديث الحارث بن ربعي عن غزة مؤتة: "...، ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَبْعَيْهِ ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ انْتَصِرْ بِهِ، -فَمِنْ يَوْمِئِذٍ سُمِّيَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفَ اللهِ "-[أخرجه ابن حبّان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح].

دعا لي بالنصر فسميت من ذلك اليوم بسيف الله فأنا من أشد المسلمين على المشركين فقال القائد الرومي:" يا خالد أخبرني إلى ما تدعون، قال: " إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله قال فما منزلة من يدخل فيكم؟ قال خالد:"منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، فقال هو :"فهل لمن دخل فيكم اليوم متأخر مثل ما لكم من الأجر والذخر؟" قال خالد: "نعم هو أفضل، فقال:"وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال خالد:" إنا دخلنا في هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتاب ويرينا الآيات وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج فمن دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا"

فقال القائد الرومي: "لقد صدقتني ولم تخادعني" قال خالد: "بالله لقد صدقتك" وأسلم في لحظتها وقال: "علمني الإسلام" فعلمه الإسلام فصلى ركعتين ثم قاتل في صفوف المسلمين واستشهد في تلك المعركة.

انتهت المعركة باستشهاد ثلاث آلاف مسلم ومقتل مئة ألف من الروم لكم أن تتخيلوا ثلاث آلاف فقط من ست وثلاثين ألفا مقابل مئة ألف أي نصف الجيش الرومي قتلوا وبانتهاء هذه المعركة سقطت إمبراطورية الروم إلى غير رجعة وهرب هرقل ملك الروم وهو يقول: "عليك السلام سلام مودع" أي أنه يرى أنه لن يعود للشام فيسلم عليها سلام مودع وقد ظن هرقل أنه لن يعود روميآ إليها أبدًا إلا خائفا وأنه لن تقول للروم قائمة بعد ذلك .

خالد -رضي الله عنه- لم يكن من القادة الذين يخوضون المعارك عن بعد فيجعل جنده هم الذين يخوضون المعركة بل كان يستأثر بالأماني لهم، والأماكن التي يكون فيها نوع من الصعوبة كان يذهب هو بنفسه فيقاتل فيها وكان هذا ما يحفز جنوده فينتمون إليه أكثر فالذين قاتلوا معه المرتدين وصاحبوه في قتال العراق وفي فتح الشام لم يكونوا ينسبون الفخر إلا إليه وما كانوا يفتخرون بشيء بعد ذلك حتى بعد موت خالد ما كانوا يفتخرون بشيء إلا أنهم قاتلوا معه وبأيامهم معه.

عزله عن القيادة:

بعدما سقطت فارس وانتهت امبراطورية الفرس على يده بفتح الأنبار وفتح الحيرة وغيرها والموصل وبانتهاء هذه المعركة تنتهي دولة بيزنطة على يده أيضًا و بقيادته فمن الطبيعي أن يكون هناك نوع من الاحتفاء بخالد -رضي الله عنه- أو نوع من التكريم له لكن في خلال هذه الأثناء في وسط معركة اليرموك جاء خطاب من المدينة إليه وقرأه أبو عبيدة -رضي الله عنهما- وهذا الخطاب جاء بنبأ وفاة أبو بكر -رضى الله عنه- في وسط المعركة فلما قرأ الخطاب علم بوفاة أبو بكر وبأمر آخر قد دُون فيه وكتم الأمر وأغلق هذا الخطاب وأمر المرسول الذي جاء به ألا يخبر أي أحد من جيش المسلمين بهذا الخبر حتى لا يفت في أعضادهم أن أبا بكر مات وحتى لا يشتت تركيزهم الخبر الآخر المذكور في الخطاب

فلما انتهت المعركة قرأ خالد بن الوليد الخطاب -فمن الطبيعي أنه يكون خطاب النصر أو التتويج لخالد -رضي الله عنه - فقد انتهى للتو من هزيمة أكبر إمبراطوريتين في هذاك الزمان- فإذا فيه نعي أبو بكر -رضى الله عنه- وفيه

أيضًا تولي عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- الخلافة وفيه أيضًا عزل خالد ابن الوليد وتولي أبو عبيدة القيادة فما كان من خالد إلا النزول عند الأمر وعاد بكل بساطة جندي من الجنود.

ومن أجمل الكتب التي جاءت بسيرة خالد كتاب ألفه لواء عميد ركن الجنرال (أكرم) في الكلية العسكرية في باكستان يقول هو عن سبب تأليفه لهذا الكتاب :"تُدرّس نحن سواء درسنا في لندن في أكاديميات عسكرية أو حينما رجعنا للدراسة في باكستان لم يكن هناك أي كتب تتحدث عن قادة المسلمين أو عن عبقرياتهم في الحرب فأخذت على عاتقي أن أكتب عن خالد بن الوليد -رضي الله عنه-" وكان كتابه في خمس مئة صفحة سافر من أجل كتابه إلى سوريا والعراق وقام برسم خرائط دقيقة عن كل مكان فتح فيه خالد حتى حين يتحدث عن تكتيكاته في الحرب وطريقة تنفيذها وكيف رجع من وراء الجبل ودخل في ذاك الوادي واقتحم هذا الخندق فكان يذهب بنفسه إلى تلك الأماكن ويراها ويقيسها بالمتر

فذهب إلى العراق في تلك المعارك وذهب إلى سوريا في وداي اليرموك في حمص وذهب إلى دمشق حتى آخر تلك الأماكن التي فتحها فتجول فيها كلها وكان يقول في كتابه:"بالعادة إذا تقاعد القائد الأعلى للقوات المسلحة أو الجنرال فإنه لايرجع الى نفس الكتيبة التي كان قائدًا عليها يذهب في أي مكان آخر ينقل إلى كتيبة آخرى، لأنه من الصعب أن ترجع في صف كنت يومًا من الأيام قائدهم كان يقول هذه الصعوبة يعرفها كل قائد عسكري"، لا تستطيع النفس البشرية أن تتخيل، أن يكون بهذه السهولة انتقال القيادة من شخص إلى شخص فمن أبي عبيدة إلى خالد ابن الوليد ومن خالد إلى أبي عبيدة ولذلك لما يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "...، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسُهُ ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"[أخرجه البخاري، صحيح]

لأن هؤلاء لا يقاتلون من أجل المناصب ولا من أجل شهرة كان حب الله -عز وجل- وحب إعلاء دينه والتضحية في سبيله هو الشيء الذي يقاتلون من أجله ولذلك كان انتقال السلطات ليس بذلك الأمر الصعب جداً وإن كان يأخذ من النفوس ما يأخذ ولذلك أبى خالد إلا أن يجعل ضمن انتصاراته العسكرية انتصاره على نفسه وتسليمه؛

ولذلك قال كلمته المشهورة:"ما قاتلت من أجل عمر وإنما قاتلت من أجل ربِ عمر" فالموضوع لم يكن شخصيًا ولذلك هناك كثير من المؤرخين قالوا: "لماذا عزله هل كان بينهم غيرة؟ هل كان بينهم أي عداوة؟" وإنما جاء سبب عزله في خطاب عمر-رضي الله عنه-نفسه حينما قال:" إني لم أعزل خالدًا عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع"

عمر! عمر الغيور، وبالعكس الخليفة يريد أن يكون لديه قائد ينتصر في كل المعارك لكن مع ذلك، كان أمر الله عنده أعظم من أي شخص ومن أي انتصار سيأتي على حساب إيمان الناس ولذلك خشي أن يفتن الناس بخالد ويظن في لحظة أنه هو سبب النصر وليس الله -عز وجل- ولذلك أرسل هذه الرسالة إلى كل أمراء الأمصار حتى لا يتحدث الناس عن خالد فقال :" إني لم أعزل خالد عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فتنوا به فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع

وليس خالد"، ولذلك كانت نفوسهم طيبة على بعضهم البعض، عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما تولى كان حازماً مع أمرائه وما كان يأتي إليه واحد من أمرائه ويكون معه عشرة آلاف أو عشرين ألف درهم -حتى يرسل له رسول من المدينة من أين لك هذا؟

فما كان يأتي له ظلم أو مظلمة لأحد أو يقولون له هذا عنده ثوبين مثلًا أو أي شيء خارج الحدود الطبيعية إلا وكان يرسل له مباشرة رسولا ليتحقق في الأمر وكان من ضمن هؤلاء خالد بن الوليد وهو بالأصل من أسرة ثرية ومترفة وكان كريمًا شجاعاً وكان يُعطي فلما كان يجازي أو يُعطي فهو يجزل المثوبة

ففي يوم من الأيام أعطى عشر آلاف لشخص ما فوصل الأمر إلى عمر فأرسل له تحقيق مع بلال الحبشي فجاءه فقال له من أين لك؟ فربط بعمامته فقال له خالد يربط بعمامته ويستجوب هذا الاستجواب؟ لكن عمر ما كان هيناً مع أمرائه ومع قادته وما كان أي أحد منهم يفكر أن يصرف درهمًا واحدا من أموال المسلمين، ولكن هذا المال كان من مال خالد وبالفعل فك بلال العمامة وهو الذي عمم خالد وقال :" أمرنا أن نطيع ولاة أمرنا وأن نخدم سادتنا" كان بلال يحمل لخالد بن الوليد قيادته يقول خالد عن هذه المواقف يقول:"عرفت أن عمرَ كان يريد الله في كل ما فعل فما وجدت في نفسي شيئاً عليه" أي أنه كان يعلم أن عمر لم يفعل ما فعل لأمر شخصي بينه وبين خالد فقد كان عمر وخالد في مأثرهم في قريش حينما كان يتصارعون فقد عمر فارس وخالد فارس بينهم هذه المنافسة من قبل مع ذلك لم يأتِ لخالد ولو للحظة أن عمر يغار منه أو يحسده فيقول : "وكنت حينما قاسمني مالي حتى النعلة ترك لي نعلة وأخذ نعلة"

جاءه مرة أحد من المراسيل فقسموا ماله فقال هذا لك وهذا لبيت مال المسلمين، فيقول فوجدت في نفس شيئا لماذا فعل هذا معي؟ ثم وجدت أنه فعل ذلك مع غيري من الأمراء من الذين سبقوا ومن الذين شهدوا بدراً وكان يغلظ علي وكانت غلظته على غيري نحو ما كنت أجد وكنت أدلي له بقرابة -أي كان بينهم قرابة- لكني وجدت أن عمرًا لا تأخذه في الله لومة لائم فذلك الذي أذهب ما كنت أجده عليه فجعلت تركتي ووصيتي وإنفاذ أمري إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-"

وهذا طبعاً رد على كثير المؤرخين الذين خاضوا في خالد ابن الوليد وفي عمر -رضي الله عنهما- وبقي جندي واستمر في ولاية أبي عبيدة بن الجراح من فتح دمشق وحمص حتى مات خالد بن الوليد فيها وجاءهم طاعون عمواس ومات كثير من الناس.

من مناقبه:

فكما جاء في الحديث عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَقَدَ لِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ وَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : نِعْمَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ ، وَسَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ" [أخرجه أحمد في مسنده، وقال المحقق:حديث صحيح بشواهده]

ما كانت هناك معركة بعد إسلام خالد بن الوليد -رضي الله عنه- إلا يخوضها ولم يتخلف عن غزوة قط يعني ما نادى المنادي لغزوة من المعارك إلا ويكون خالد من أوائلهم وكان كثيراً ما يتعذر خالد بقلة قراءته

للقرآن وبقلة حفظه له أو باختلاف الآيات واختلاطها عليه فيقول: "شغلنا الجهاد عن كثيراً من القرآن" وأشرب حب الجهاد في قلبه حتى إنه كثيراً ما يقول "ما من ليلة يهدى إلي فيها عروس أنا لها محب أحب إلي من ليلة شديدة البرد كثيرة الجليد في سرية أصبح فيها العدو" لاحظوا أين حبه ليست في امراة أو في عروس يحبها وإنما في ليلة يبات فيها على ثغر ينتظر فيها أن يغير فيها على العدو.

وفاته:

يقول: "طلبت القتل في معركة أن أموت على فرسي وتحت ظلال سيفي فإذا مت انظروا إلى سلاحي وفرسي واجعلوها عدة في سبيل الله"

فلما كانت السنة ٢١من الهجرة ١٨ من رمضان حضرت خالد بن الوليد -رضي الله عنه- الوفاة وهو على فراشه فاستعذر خالد لذلك فارس الذي لم يهزم في معركة قط والذي خاض أكثر من مائة زحف فقال عن نفسه: "لقد حضرت كذا وكذا زحفاً ومافي جسدي موضع شبر إلا فيه ضربة سيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وهأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء"

فهو يقول طلب القتل في مظانه يعني أنا كنت أرمي بنفسي في كل مكان أريد أن أموت الميتة وأطلب الشهادة لكن كتب الله -عز وجل- له ألا يموت ومن جميل التفاسير جاء أحد الذين عزوه فقالوا له "أنت سيف من سيوف الله فلا يمكن لعدو أن يقتل سيف من سيوف الله ولذلك حق لك أن تموت على فراشك لا تموت بيد عدو"

فكانت هذي من أجمل التفاسير التي سلت خالد عن عزائه أن يموت على فراشه لكنه سيف من سيوف الله ومن الذي يستطيع أن يأخذ روحه إلا ربه ولذلك قال: "هأنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء" كان عمره أنذاك ثمانية وخمسون عاماً وعمره في الإسلام ثلاثة عشر عامًا فقط سطر فيها كل تلك الفتوحات أسقط إمبراطورية الفرس وأسقط إمبراطوية الروم وحارب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في فتح مكة إلى أن توفي ومع خلفائه،

لما توفي -رضي الله عنه- بقيت نساء بني مخزوم -قبيلته-في المدينة يبكين عليه فلما سمعهم عمر وكان ينهر النساء أن يبكين فلما سمعهن يبكين على خالد ابن الوليد قال: "دعوا نساء بني مخروم يبكين على أبي سليمان فأنهن لا يكذبن فعلى مثل أبي سليمان تبكي البواكي" لاحظوا عمر الذي كان ينهى عن البكاء يقول "على مثل أبي سليمان تبكي البواكي" عزاؤنا فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "«مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ، بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[أخرجه مسلم، صحيح] فهو كما سأل الله الشهادة بصدق فإنه يبلغ ذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم- عن خالد :" ... وَأَمَّا خَالِدٌ : فَإِنَّكُمْ تَظْلِمُونَ خَالِدًا، قَدِ احْتَبَسَ أَدْرَاعَهُ وَأَعْتُدَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ..."[أخرجه البخاري، صحيح]

لما جاؤوا يعدون تركته ما وجدوا عنده إلا درعه وسلاحه وغلامه فقال عمر ابن الخطاب -رضي الله عنه- :"رحم الله أبا سليمان كان على غير ما ظننا" فلما مات فتشوا عنده فما وجدوا إلا درعه وسلاحه وغلامه الذي كان

يخدمه فقال عمر لما مات خالد :"ثلم في الإسلام ثلمة لا ترتقوا لها أبداً" وقال: "كان والله سداداً لنحور العدو ميمون النقيبة"

قال أبو بكر -رضي الله عنه- عنه قال: "عجزن النساء أن يلدن مثل خالد"

ولذلك نحن حينما نتذاكر هذه السيرة سواء لأبوبكر أو عمر أو سعد أو خالد -رضي الله عنهم- فنحن لا نتذاكر إلا فصول من البشرية في أكمل صورها كان يمكن لخالد أن يكون مجرد فارس جاهلي تطربه الحرب ويقاتل من أجل شربة كأس من خمرٍ أو لغزوٍ أو سلب أو نهب أو لعادات قبلية لا أكثر ولا أقل لكن حينما هذبهم الإسلام وحينما صاغهم هذا الدين تحولوا إلى هؤلاء الفرسان فرسان بالنهار ورهبان بالليل لم يعرف التاريخ جنودا مثلهم ولا أخلص لسيوفهم منهم ولا أطهر نفوساً في الحرب منهم

رفعوا راية الإسلام في كل أرض كان يطؤونها فهل مثل هذه السير هي مجرد صفحات مطوية في التاريخ ؟ لا وإنما النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ "[أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني: صحيح] هذا الدين الذي صاغ أولئك الناس في ذلك العهد هو كفيل بأن يصوغ الناس إلى قيام الساعة ولذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "أُمَّتِي كَالْمَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ "[أخرجه الطبراني في الأوسط، وقال الألباني: صحيح]

فلا يظن أن تلك البطولات وتلك الشهامة وتلك الفروسية كانت حصراً على على هؤلاء، لا! وإنما النساء لم يعجزن أن يلدن مثل خالد والقرآن الذي صاغ خالد وهذا الدين الذي صاغ أولئك الفرسان كفيل بأن يصوغها بل بشرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في آخر الزمان عشرة فرسان قال النبي -صلى الله عليه وسلم- «إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ - أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ -» [أخرجه مسلم، صحيح]

إذاً فزمان البطولات لم يتوقف الخير مستمر إلى قيام الساعة وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته» [أخرجه ابن ماجه، وقال الألباني: حسن]

ولعل الله -عز وجل- الآن يصنعهم بعينه قد يكونون موجودون بيننا قد يكونون في مكان ما قد يكونون الجيل القادم أيّاً كان، ما يهمنا أن يكون الإنسان يقاتل وينافح عن دينه كأنه الوحيد الذي يقاتل عنه من غير أن ينتظر أي توكيل من أحد وأن تكون أنت على الثغر الذي وكلك الله -عز وجل- به تحامي به عن دينه في هذا الثغر مهما ظننت أنه صغيراً في حقك.

وهذه كانت فقط سيرة سيف من سيوف الله -عز وجل- وهو خالد بن الوليد -رضي الله عنه- أسأل الله يجمعنا بهم وبصاحبه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وآل بيته -رضي الله عنهم أجمعين- في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليكٍ مقتدر والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها.